العراق

رصد وملاحظات فنية

في العراق اليوم حركة فنية فائرة ، فلا يمر يوم الا ويفتتح معرض جديد ، وقد يصادف أحيانا أن تقام ثلاثة معارض أو أربعة في وقت واحد ، ونتيجة لهذا الفليان الغزير تفقد الحركة وجهها المميز ويصبح من الصعوبة جدا تحديد وجهها الحقيقي ، وسأحاول جاهدا أن أشخص أهم هذه الملامح انطلاقا من أهم المعروضات .

بدأت الحركة الفنية الجديدة في العراق في الاعوام اللاحقة (١) للحرب العالمية الاولى على يد فنانينا الكبار أمثال عبد القادر رسام وعاصم حافظ ومحمد صالح زكي والحاج سليم علي وناطق بك وحسن سامي وعثمانبك ، ثم تبلورت بعد ذلك على أيدي فنانين اا الروا د ـ الذين درسوا الفن في اوروبا ـ أمثال أكرم شكري وفائق حسن وعطا صبري والمرحوم جواد سليم الذين أخذت الحركة على أيديهم وجهها الجديد. وبعد ذلك جاء جيل الشباب الذين نقلوها خطوات أخرى ، وكان لجمعية الفنانين العراقيين التي تأسست في بغداد قبل ثورة تموز ببضعة اعوام دورها الكبير في قيادة هذه الحركة وعدم تركها سائبة ضائعة ، ثم وضحت بعد ذلك في المجموعات الفنية التي تألفت داخل الجمعية الام نفسها ومنها : جماعة بغداد للفن الحديث التي أسسها المرحوم جواد سليم ، وجماعة الرواد التي أسسها فائق حسن وتخلى عن الاشتراك في معارضها في الفترة الاخيرة ، وجماعة التأثريين (الانطباعيين) الآخذة من أساليب التأثريين الفرنسيين في نهاية القرن التاسع عشر وأسسها حافظ الدروبي .

ومنذ الموسم الماضي وحتى الان برزت سمة جديدة في المعارض هي ـ المعارض الشخصية ـ وقد كانت هذه قليلة جدا قبل هذا الوقت والاسباب كانت ترتبط أساسيا بأمكنة العرض ، فلم يكن هناك قبل ذلك الوقت غير قاعة المنصور التي كانت تقدم فيها الجمعية معرضها السنوي (٢) وكذلك قاعة معهد الفنون الجميلة . أما اليوم

(١) راجع « لمحات عن الفن العراقي المعاصر » ، الدكتور خالد الجادر ـ منشورات سلسلة الثقافة الشعبية .

(٢) جريدة صوت العمال العراقية ـ مقابلة مع عبد الرحمن مجيد الربيعي ـ العدد ٣٧ .

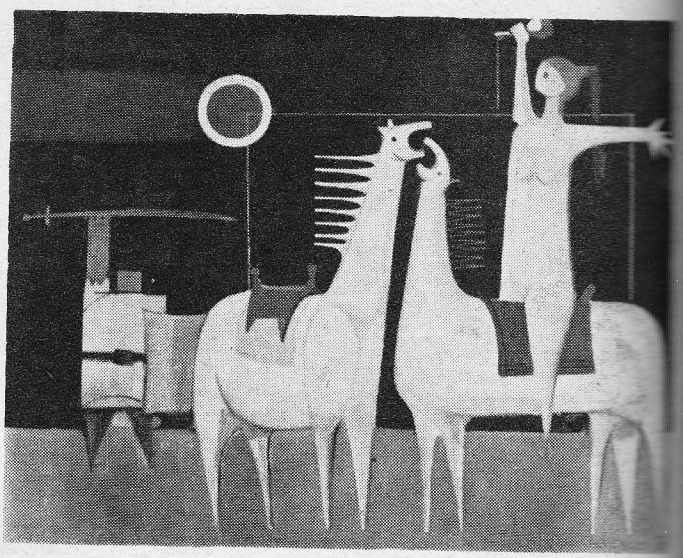

لوحة من (ملحمة الشهيد) لكاظم حيدر

(في الهور) نزيهة سليم
من معرض جماعة بغداد للفن الحديث

***

فقد لعبت القاعة التي أهدتها مؤسسة ـ كولبنكيان ـ للعراق دورها الفعال في استيعاب الكثير من المعارض . وكذلك قاعة ـ الواسطي ـ الاهلية ، والجناح الخاص بعرض الصور في مخزن ـ اوروزدي باك ـ وقاعة جمعية أصدقاء الشرق الاوسط الاميركيين ، وقاعة معهد الدراسات الانكليزية . وأمكنة العرض الكثيرة هذه تحتاج الى فنانين يواصلون العرض فيها ، فبدأت تظهر المعارض الفردية بكثرة ، ومن معارض هذا الموسم الشخصية : معرضان لكاظم حيدر ومعرضان لاسماعيل الترك ، ومعرض لفائق حسن ، ومعرض لغازي السعودي ومعرض لسميرة الصراف ، ومعرض سهى شريف يوسف ، ومعرض تركي عبد الامير ، ومعرض رافع الناصري ، ومعرض فالنتينيوس كولومبس ، ومعرض أرداش ، ومعرض يوسف غلام ، عدا معارض المجموعات ومعرض الجمعية الذي ساهم فيه حوالي الثمانية والثلاثين فنانا والذي جعل الموسم غنيا جدا ، عدا معارض اخرى اقيمت بصورة خاصة في بعض الاماكن وعدا معرض اكاديمية الفنون الجميلة اللذين يعدان تظاهرتين فنيتين واعدتين .

ان المتأمل لكل ما قدم يجد ان ظاهرة السرعة واضحة في الكثير من الاعمال خصوصا معارض الشباب الجدد الذين يعيشون هذا الانفصام والرفض بينهم وبين أساتذتهم ، وهذه ـ الرعونة ـ الفنية ما هي الا رغوة زائلة كلي ثقة بأنها ستهدأ وتذهب الفقاعات كلها ، وتكاد ـ الفردية ـ ان تكون علة واضحة ، فأغلبية الفنانين تخضع أعمالهم للتكرار في مواضيعها وان حملت بعض التغيير والتفاوت في تكنيكها ، وهناك بعض اللوحات الخالية من الموضوع وتسمى (صورة رقم ١) و (صورة رقم ٢) أو (تكوين رقم ١٢) مثلا ، وعدم وضع الاسماء على هذه اللوحات دليل كونها قد رسمت بدون أن يتهيأ الفنان ذهنيا وعاطفيا لمقابلة اللون والفرشاة ، ونحن اليوم في فترة حرجة نحتاج فيها لتجنيد كل الطاقات الفنية والتعليمية والارشدية لنفيد منها في بناء مجتمعنا الاشتراكي الجديد ، وان المواضيع التي يرسمها الفنانون تعيد نفسها اعتبارا من ثورة تموز حتى هذا اليوم ، عدا لوحات القليلين منهم التي تحمل بعض الملامح الفولكلورية والثورية ... ولذا يمكنني أن أقول واثقا ان أغلبية الفنانين العراقيين بلا قضية وانهم يدورون في مرضهم الفردي وحده ، وما داموا هكذا فلن نستطيع ان نفيد منهم شيئا حتى لو بلغوا أعلى القمم في التكنيك وحده ، انها انهزامية وضلال طويل يعيشه الفنان عكس زملائه الصحفي والشاعر والناقد والقصاص ، فهؤلاء قد واكبوا الاحداث جيدا في أعمالهم ، وقد أضع بعض المسؤولية على النقاد الفنيين ، اذ ان الحركة هنا سائبة رغم حدتها وليست هناك حركة نقد بمستوى هذه الحركة الفنية وقد مضى

موسمان ولم يكتب عنهما أحد غيري وغير الزميل سعدون فاضل وكلمات مبعثرة هنا وهناك لقلائل اخرين ، وقد صمت بعض من نأمل منهم الابداع في هذا المجال أمثال كاظم حيدر وشاكر حسن آل سعيد وجبرا ابراهيم جبرا .

ولعل معرض كاظم حيدر الثاني – ملحمة الشهيد – هو أبرز ما قدم في هذا الموسم ، اذ حول الفنان قصيدة طويلة تحكي استشهاد الحسين عليه السلام الى معرض فني كامل ، كل لوحة تمثل شطرا من أبيات القصيدة . وتسجيل هذه المعاناة الميتافيزيقية وتحديدها ضمن أطار اللوحة باستيعاب كامل دون تسرب الحدث او وقوع الاشكال في التكرار مما لا يشك فيه أنها عمل رائع وخالد ... وقد أبرزت الملحمة بسهولة لا تفقد تلك الروحية الدينية ولا تلك الملامح الشعبية التي تتسامى بأسلوب مرن ومتقن لا تشوهه سيماء اللقطاء .

ولعل من الاعمال الجيدة الاخرى لوحات اسماعيل الشيخلي ولورنا سليم وغازي السعودي وسعدي الكعبي ومنحوتات محمد غني ومحمد الحسيني ، وكذلك لوحات ضياء العزاوي التي تحمل بعدا نفسيا وخلفية تؤكد انطلاقة من تأزم حاد لم يبرد عندما يستقر على اللوحة في وضعها الاخير .

وفي معارض هذا الموسم ساهم بعض أساتذة الفن الاجانب الذين يدرسون في معهد الفنون واكاديمية الفنون وقسم المعمار في كلية الهندسة ، امثال : صوفيا ونورمان ارتموفيسكي ، ويوركو لازسكي ، وفالنتينوس كولومبوس ، وقد قدم الاولان بعض اللوحات التي نفذت بطريقة (الموناتايب) و (الصق) وهي مجرد تكوينات تجريدية اقرب الى الزخرفية، ولهذه الاعمال اهميتها لجدتها ولكن هذا التجديد يحاذيه خطره على نتاجات الشباب الباحثين عن الاسم والمجد السريع ، فهي

(أول ايام العيد) – زيتية – سوزان الشيخلبي
(من معرض الرواد الثامن) ١٩٦٥

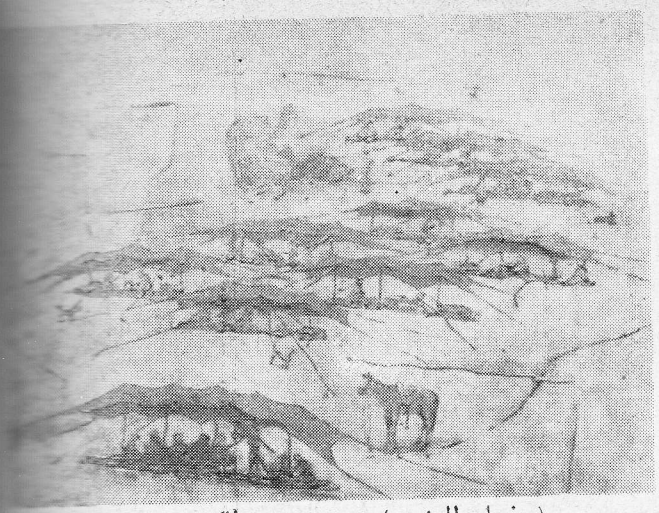

(خيام البدو) – سعدي الكعبي
من معرض الرواد

تحملهم على المحاكاة وبعد ذلك فقدان الاصالة والتخبط . وظهور الفنان يوركو لازسكي ضمن معرض جماعة بغداد كان يعني اكثر من مساهمة فنان اجنبي في معرض عراقي وقد افردت مقالة خاصة بـ لجريدة الثورة العربية عنوانها (البيئة العراقية وتجربة فنان اجنبي) فهو يقدم لنا ادانة كاملة لاولئك المتخبطين الذين يأخذون من هنا وهناك تارة بأسم التجديد بتأكيده على اهمية البيئة في تشكيل تجربة الفنان عندما حملت الوانه تلك المسحة الكئيبة رغم الظلال الذهبي الذي يغلف – الباك كراوند – وهذا لايعني ان الفنان قد انتزع من داخله تلك الروحية اليوغسلافية التي يحملها بدمه ، بل يعني تأثر للبيئة من اثر حي يظهر في موضوع اللوحة وفي مناخها .

ان الموسمين الماضيين علاوة على كثرة المعارض قد شهدا اقبالا كبيرا من الناس وهذا دليل على ان الفن التشكيلي قد بدأ يجد جمهوره واعتقد ان اهتمام الاخرين بنتاج الفنان سيحطم الفردية التي تتبلور فيه ، وسيحاول تدريجيا ان يجد اللغة المشتركة بينه وبينهم ، وهذا هو الطريق المهم الذي سيقوده حتما الى ان يجد قضيته ولا يبقى سائبا .

عبد الرحمن مجيد الربيعي – بغداد
اكاديمية الفنون العليا

رجل وطفلته – (زيتيه)
اسماعيل الشيخلي
(معرض الرواد الثامن) ١٩٦٥

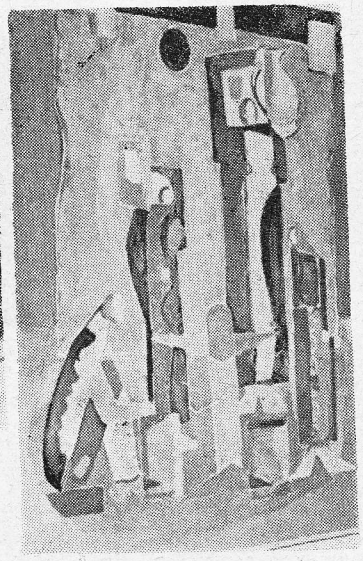

(الملايات) – حامد الصفار
من معرض اكاديمية الفنون العليا